الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

منهج جلال الدين السيوطي
في شرح نظم حرز الأماني و وجه التهاني للشاطبي

The methodology adopted by As-Suyooti in explaining the "Hirz Al-Amaani Wa Wajh At-Tahaani "

Dr. Tahar BRAHIMI
University of Ghardaia -Algeria-

د. طاهر براهيمي
جامعة غرداية -الجزائر-
Taharbi2014@gmail.com

ملخص

يتناول هذاالمقال منهج السيوطي في شرح نظم حرز الأماني ووجه التهاني في علم القراءات، مبرزا مصادره ومنهجه في التعامل مع أبيات النظم من جهة عنايته بشرح اللفظ والتركيب وبيان الإعراب ... وأوجه الاختلاف القرائي ونسبتها إلى القراء.

ثم عرّج البحث على توجيه السيوطي للقراءات القرآنية وبيانه للمشكل منها وأسباب طعن النحاة في القراءات مقررا قواعد تحدد العلاقة بين اختلاف القراءات واستعمالات العرب.

الكلمات الدالة:السيوطي، الشاطبية، القراءات القرآنية، حرز الأماني.

Abstract

This article deals with As-Suyooti's methodology in explaining Hirz Al-Amaani Wa Wajh At-Tahaani concerning the science of reciting modes of the Quran. He highlighted his sources and his methodology in dealing with the sets of verses , as regards not only to the attention given to explain the pronunciation and composition and statement of expression but also the difference in the ways of reciting and attributing these ways to the reciters.

This research deals with the directing of As-Suyooti towards Quran recitations and his demonstration of the difficulties related to them . It also attempts to explain why linguists disapprove some recitations, by establishing rules that determine the link between the different ways of reciting and the different dialects of Arabic.

KeyWords:As-Suyooti, Ash-Shaatibiyya, Quranic recitations, Hirz Al-Amaani.

مقدمة

يمثّل شرح الشاطبية للسيوطي نموذجا فريدا من مؤلفاته ، ذلك أن الإمام جلال الدين صرّح في كتابه حسن المحاضرة أنّه لم يأخذ علم القراءات عن شيخ ، بل أخذ هذا العلم من مؤلفاته فقال : " ... ودونها القراءات ، ولم آخذها عن شيخ "[1] ، لهذا صنف إتقانه لعلم القراءات في المرتبة الرابعة فقال : "ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع ؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطّلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي ؛ فضلا عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخي فيه أوسع نظرا، وأطول باعا؛ ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والتوسل والفرائض، **ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ**، ودونها الطب، وأما علم الحساب فهو أعسر شيء علي وأبعده عن ذهني؛ وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلًا أحمله "[2].

ومع هذا فلم يحد شرحُه عن بقية مؤلفاته المتّسمة بالتحقيق والتدقيق والتحرير والإتقان ، ولم يكن فيه ناقلا جامعا لقول غيره ، بل جاء شرحه مختصرا يقلّ فيه النقل ، وما نقله عزاه لقائله ملتزما بمنهجه الذي صرّح به في مقاماته حين قال : " قد علم الله والناس من عادتي في التأليف أنّي لا أنقل حرفا من كتاب أحدٍ إلا مقرونا بعزوه إلى قائله ونسبته إلى ناقله ؛ أداءً لشكر نعمته وبراءةً من دركه وعهدته "[3].

فما هو منهج الإمام السيوطي في شرحه لنظم الشاطبية ؟ وهل استوعب شرحُه المختصر مسائل القراءات السبع ؟ وكيف تعامل مع توجيه مشكلات القراءات القرآنية ؟

وللإجابة عن تلك الإشكالات سيتأسس البحث على أربع نقاط أساسية هي كالآتي :

- التعريف بنظم حرز الأماني ووجه التهاني .
- مصادر السيوطي في شرحه لحرز الأماني.
- منهج السيوطي في شرح حرز الأماني.
- توجيه القراءات في شرح حرز الأماني .

1ـ التعريف بكتاب حرز الأماني ووجه التهاني

هو منظومة نظم فيها الشاطبي كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ، وهي من أقدم المنظومات في علم القراءات ، وهي من بحر الطويل التزم فيها صاحبها حرف روي واحد هو اللام ، فسميت باللامية ، كما تسمى الشاطبية نسبة لناظمها ، وبلغ عدد أبياتها ألفا ومائة وثلاثة وسبعين بيتا 1173 ، " وتعتبر هذه القصيدة من عيون النظم بما اشتملت عليه من عذوبة الألفاظ ورصانة الأسلوب وجمال المطلع والمقطع وروعة المعنى وسمو التوجيه وبديع الحكم وحسن الإرشاد ، فلا عجب أن يتلقاها العلماء في سائر الأعصار والأمصار بالقبول ويعنو بها أعظم عناية، ويتوافروا على شرح ألفاظها وحل رموزها ، وكشف أسرارها ، واستخراج دررها وجواهرها " . لهذا انبرى علماء القراءات لها بالشرح والاختصار .

ومن أشهر شروحها :

- فتح الوصيد في شرح القصيد لعلم الدين السخاوي ت 643 هـ .
- كنز المعاني شرح حرز المعاني لإبراهيم بن عمر الجعبري ت 632 هـ
- كنز المعاني شرح حرز المعاني لأبي عبد الله محمد شعلة ت 656 هـ.
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي شامة الدمشقي عبد الرحمن بن إسماعيل ت 763 هـ.
- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي لابن القاصع علي بن عثمان ت 801 .
- الوافي في شرح الشاطبية للشيخ عبد الفتاح القاضي.
- تقريب المعاني في شرح حرز الأماني لكل من سيد لاشين أبي الفرح، وخالد الحافظ.
- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد ، للعلامة المحقق علي محمد الضباع ، وله شرح آخر مختصر اسمه (تقريب النفع في القراءات السبع) .

ومن أشهر مختصراتها :

- الشمعة قصيدة رائية قدر نصف الشاطبية ، ألفها أبو عبد الله محمد شعلة ت 656هـ
- مختصر الشاطبية لعبد الصمد التبريزي ت 765 هـ .
- نظم درر الجلا لعبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي ت 768 هـ .

حوز المعاني لابن مالك النحوي ت 672 هـ .

2ـ مصادر السيوطي في شرحه لحرز الأماني

لم يصرّح الإمام السيوطي في مقدّمة شرحه بمصادره التي اعتمد عليها ، ولا نشكّ في اطلاعه على أكثر الشروح التي سبقته كشرح السخاوي والجعبري وأبي شامة المقدسي ومحمد شعلة وهي أنفس الشروح للنظم . وبعد استقراء كتابه يمكننا أن نمثل للمصادر التي صرّح السيوطي بالنقل عنها على النحو الآتي :

2.1 **النقل عن أصل النظم** : وهو كتاب التيسير لأبي عمرو الداني نحو قوله في مبحث المدود : " قال الداني : (أطولهم مدّا ورش وحمزة ودونهما عاصم ، ودونه ابن عامر والكسائي ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق ، وقالون من طريق أبي نشيط بخلاف عنه ، وهذا كلّه على التقريب من غير إفراط. انتهى) "[4].

وقال: "وهو الذي اقتصر عليه في التيسير "[5]. وقال: "قال الداني: (والوجهان جيدان)"[6].

2.2 **النقل عن المحدثين**: نحو نقله تخريج ابن الجوزي لحديث صيغة الاستعاذة، فقال: "... روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم) **أخرجه ابن الجوزي من المحدثين**"[7].

3.2 **النقل عن النحاة**: نحو قوله عن إمالة لفظ (إناه) في سورة الإسراء وهل إمالته لكسر أو لانقلاب الياء: "... والأول مذهب الكسائي والثاني مذهب سيبويه"[8].

وقال عن الاختلاف في الفتح والإمالة عند التنوين: "... ومأخذ الخلاف: الاختلاف في الألف الموجودة في الوقف هل هي المبدلة من التنوين؟ أو الأصلية عادت للتنوين؟ **وعلى الأول المازني، فلا يمال، وعلى الثاني السيرا في فتمال، وقال سيبويه والحذاق**: هي في الجرّ والرفع الأصلية، وفي النصب المبدلة من التنوين كما في الصحيح، فتمال في الأولين دون الأخير"[9].

4.2 **النقل عن علماء اللغة**: نحو نقله عن أبي عبيد القاسم بن سلام، فقال: "قال أبو عبيد: (ليكة اسم القرية التي كانوا فيها، والأيكة؛ اسم البلد كلّه)"[10].

5.2 **النقل بالتمريض**: نحو قوله عن قراءتي (غسَاقا) و(غسَّاقا): "... **فقيل هما لغتان، وقيل الأول وصف والثاني اسم**"[11].

3ـ منهج السيوطي في شرح حرز الأماني

إنّ الناظر في شروح متن حرز الأماني يجزم قاطعا أنّ أخصرها وأجمعها هو شرح الإمام الجامع جلال الدين السيوطي، حيث مزج النظم بالشرح فقال: "**هذا شرح لطيف مزجته** بقصيدة الإمام أبي القاسم الشاطبي في القراءات، تبرّكا بسلفها، وتيمنا ببركات مؤلفها، هاد إلى مقاصدها، مرشد إلى مصادر أبياتها وموارِدها"[12]، وهذا المزج الذي يراد منه الاختصار هو عين ما فعله عند شرحه لألفية ابن مالك حيث يقول: "**.. فهذا شرح لطيف مزجته** بألفية ابن مالك مهذّبُ المقاصدِ، وواضح المسالك، يبيّنُ مرادَ ناظِمها، ويهدي الطالب لها إلى معالمها..."[13].

وعند استقراء شرح الإمام السيوطي وجدنا منهجه ينماز بالنقاط الآتية:

1.3 **شرح الباب**: يتعرض الإمام إلى توضيح مقصد الناظم من الباب بشرح مختصر لا يتجاوز أكثرها أربعة أسطر في العادة نحو قوله عن باب (**المد والقصر**): "الأول الزيادة على المدّ الطبيعي في حروف المد واللين، والثاني ترك ذلك"[14].

وقال عن باب (**الإدغام الكبير**): "هو إدغام حرف متحرّك في مثله في كلمة أو كلمتين، والصغير إدغام الساكن وسيأتي؛ وسمي الأول كبيرا لكثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرّك قبل إدغامه، وقيل لصعوبته"[15].

2.3 **شرح مفردات النظم**: نسج الشاطبي نظمه حرز الأماني على منوال بديع، أفرغه في قالب سبكه الرفيع، موظفا ألفاظا قوية جزلة هي أقرب للغريب منها إلى المتناول، فاحتاج هذا من الإمام شرح ألفاظه تسهيلا لفك الرموز وفتحا لمغالق المسائل.

من ذلك لفظ الأمون في قول الناظم:

أَمِينَ وَأَمْناً لِلأَمِينِ بِسِرِّهَا ... وَإِنْ عَثَرَتْ فَهُوَ الْأَمُونُ تَحَمُّلا

قال السيوطي: "(الأمون تحمُّلا)؛ أي القائم بإصلاح ما رآه فيها من زلل أو خطأ، وتأويله على أحسن محمل، **وأصل الأمون الناقة القوية الصابرة على الأحمال الشاقة**"[16].

ومن ذلك أيضا شرحه للفظ (غيطلا) من قول الناظم:

"كَـ"مَا "فِـ"ي "نَـ"دٍ وَالأَيْكَةِ اللامُ سَاكِنٌ ... مَعَ الْهَمْزِ وَاخْفِضْهُ وَفِي صَادَ "غَـ"يْطَلا

قال: "(**غيطلا**) **هو الشجر الملتفّ**"[17].

3.3 **شرح المعنى الشرعي لألفاظ النظم**: قد يشرح الإمام السيوطي اللفظ من النظم شرحا شرعيا لا لغوي نحو شرحه للفظي: يَطْهُرْنَ ويطَّهَّرنَ من قول الناظم:

وَيَطْهُرْنَ فِي الطَّاءِ السُّكُونُ وَهَاؤُهُ ... يُضَمُّ وَخَفًّا "إِ"ذْ "سَمَا" كَيْفَ "عُـ"وِّلا

قال الإمام: "الأولى من طَهُرْنَ أي **انقطعَ دمُها**، والثانية من: اِطَّهَرْنَ **بمعنى استعملن الماء**"[18].

4.3 **شرح تراكيب النظم**: يعمد الإمام أحيانا لشرح التراكيب بعد شرح ما استغلق من ألفاظها نحو شرحه لقول الناظم: (قِطْ خُصَّ ضَغْطٍ) من بيته:

وَيَجْمَعُهَا قِطْ خُصَّ ضَغْطٍ وَخُلْفُهُمْ ... بِفِرْقٍ جَرى بَيْنَ الْمَشَايِخِ سَلْسَلا

قال الإمام: "(قِطْ خُصَّ ضَغْطٍ) معناه: أقِمْ في القيض في خُصٍّ ضيّقٍ.."[19]

5.3 **إعراب بعض ألفاظ النظم**: زيادة في توضيح المعاني وإبرازا لمقاصد الناظم يقوم الإمام السيوطي بإعراب بعض ألفاظ النظم ليستقيم التركيب ويتجلى المعنى؛ نحو إعرابه للفظ (التيسيرُ) من قول الناظم:

وَفِي يُسْرِهَا **التَّيْسِيرُ** رُمْتُ اخْتَصَارَهُ ... فَأَجْنَتْ بِعَوْنِ اللهِ مِنْهُ مُؤَمَّلاَ

قال الإمام: "(التيسيرُ)؛ أي الكتاب المسمّى بذلك لأبي عمرو الداني، أي ما تضمنه من العلم، وهو مبتدأ خبره المجرور المتقدّم"[20].

6.3 **التنبيه على النكت البلاغية في النظم**: لم يعق الإمامَ السيوطيَّ حِرصُه على الاختصار التنبيهَ على المسائل البلاغية في النظم سواء كانت التنبيهات من البيان أو المعاني أو البديع؛ فمن الكناية شرحه لقول الناظم:

وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ ... وَالْأُخْرَى اجْتِهَادٌ رَامَ صَوْباً فَأَمْحَلاَ

قال الإمام : " ... **وكنّى المصنّفُ عن الخطأ بقوله** : (رَامَ صَوْباً) "[21].

وفي قول الناظم :

وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ ... بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلا

قال الإمام : " (بِكُلِّ عَبِيرٍ) ؛ أي طيّبٍ **كنايةً عن حسن الثناء** "[22].

ومن التشبيه قول الناظم :

أَمِينَ وَأَمْناً لِلأَمِينِ بِسِرِّهَا ... وَإِنْ عَثَرَتْ فَهُوَ الْأَمُونُ تَحَمُّلا

قال الإمام : " وأصل الأمون الناقة القوية الصابرة على الأحمال الشاقة ، **وأخبر به على وجه التشبيه** "[23].

ومن الجناس في قول الناظم :

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ ... فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلاَ

وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً ... جَدِيداً مُوَالِيهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلاَ

قال الإمام : " ... وفي (أَخْلِقْ) و (يَخْلُقُ) جناس مطابق ، وفي (حَبْلُ) و (حِـبْلَ) جناس محرّف" [24].

ومنه أيضا في قول الناظم :

وَنَادَيْتُ أَللَّهُمَّ يَا خَيْرَ سَامِعٍ ... أَعِذْنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلاً وَمِفْعَلا

قال الإمام : " ... وفي البيت جناس الاشتقاق بين (سَامِعٍ) و (التَّسْمِيعِ) " [25].

ومما يدلّ على حرص السيوطي على المسائل البديعية تعقيبُه على الناظم في قوله :

وَعَنْهُمْ وَعَنْ حَفْصٍ فَأَلْقِهْ وَيَتَّقِهْ ... [حَ]مى [صَ]فْوَهُ [قَ]وْمٌ بِخُلْفٍ وَأَنْهَلاَ

قال الإمام : " ... ولو قال بدل الشطر الثاني (أبو بكر والبصريُّ وخلّاد مع خلا) لوفّى بالتسمية ، **وكان فيه نوعٌ بديعيٌّ** ؛ **وهو الاكتفاء** "[26].

3ـ7 **ذكر الآيات المعنية بالوجه القرائي** : يحرص الإمام السيوطي على ذكر موضع القراءة بإتمام الآية إذ الناظم في الغالب يقتصر على لفظ واحد منها وهو محل الخلاف ؛ نحو قوله :

وخَفَّفَ كُوفٍ **يَكْذِبُونَ** وَيَاؤُهُ ... بِفَتْحٍ وَلِلبَاقِينَ ضُمَّ وَثُقِّلا

قال الإمام : " (وخَفَّفَ كُوفٍ) الذال من قوله : ﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكذِبُونَ﴾ [التوبة : 77] .

3ـ8 **التعقيب على الناظم إن خالف مصطلحه** : إذا خالف الناظم منهجه الذي التزمه في بداية النظم نبّه السيوطي على ذلك نحو قول الناظم :

سَأُسْمِي وَبَعْدَ الْوَاوِ تَسْمُو حُرُوفُ مَنْ ... تَسمَّى عَلَى سِيمَا تَرُوقُ مُقَبَّلا

قال الإمام جلال الدين شارحا هذا البيت : " (**سَأُسْمِي**) ؛ أي أذكر اسم من له القراءة مرموزا أولا ، وآتي بعده بالواو ، (**وَبَعْدَ الْوَاوِ تَسْمُو**) ؛ أي تعلو (**حُرُوفُ مَنْ تَسمَّى**) قبل الواو (**عَلَى سِيمَا**) ؛ أي علامة ، (**تَرُوقُ**) ؛ أي تعجب (**مُقَبَّلا**) بالتشديد ... ونصبه على التمييز المحوّل عن الفاعل، **وهذا خلاف مصطلحه في سائر القصيدة من تقديم الحرف المختلف فيه على أسماء القراء** "[27].

3ـ9 **التعقيب على الناظم في اختيار محلّ القاعدة** : عند شرح الإمام لقول الناظم :

وَخَلادُهُمْ بِالْخُلْفِ فَالْمُلْقِياتِ فَاذْ ... مُغِيرَاتِ فِي ذِكْرًا وَصُبْحًا فَحَصِّلا

قال الشارح : " ... ولو ذكر الناظم هذا في باب الإدغام الكبير لكان أنسب "[28].

3ـ10 **استدراكات السيوطي على الشاطبي** : للسيوطي في شرحه على حرز الأماني استدراكات كثيرة على أبيات الشاطبي ولأغراض مختلفة منها :

• **الاستدراك للتصريح بدل الترميز** : وهذا الغرض هو أكثر الأغراض من استدراكات السيوطي ومنها استدراكه على قول الناظم :

وَفِي الْكُلِّ قَصْرُ الْهَاءِ "بـ"انَ "لِـ"سَانَهُ ... بِخُلْفٍ وَفِي طه بِوَجْهَيْنِ "بُـ"جِّلا

فعبّر عن قالون بالباء من (بان) ، وعبر عن هشام باللام من (لسانَه) فاستدرك الإمام بقوله: " ولو قال:

وفي الكلّ قالونٌ بقَصْرٍ. هشامُهم ... بخُلْفٍ وساواه بطه فَاعْملا

لوفّى بالتسمية "[29].

وفي قول الناظم :

وَإِسْكَانُ يَرْضَهُ "يُـ"مْنُهُ "لُـ"بْسُ "طَـ"يِّبٍ ... بِخُلْفِهِمَا وَالْقَصْرُ "فَـ"اذْكُرْهُ "ذَـ"وْفَلا

"لَـ"هُ "أ"لرُّحْبُ وَالزِّلْزَالُ خَيْراً يَرَهْ بِهَا ... وَشَرًّا يَرَهْ حَرْفَيْهِ سَكِّنْ "لِـ"يَسْهُلا

قال السيوطي : " ولو قال بدل البيتين :

وصالحُ يرضهْ معْ هشام ودورهم ... بخلفهما، والقصر فانسبْه الاولا

وحمزة معْه نافعٌ ثم عاصمٌ ... يرهْ لهشامٍ في كلا حرفِ زلزلا

لوفّى بالتسمية "[30].

• **الاستدراك للاختصار** : استدرك السيوطي على الناظم بعض الأبيات لطولها فاقترح بديلا لها، نحو تعقيبه على قول الناظم :

نعم "إ"ذ "تـ"مشت "زَ"ينب "صـ"ـالَ "دُ"هًا ... "سـ"ـمِيَّ "جـ"مال واصلا من توصلا

فإِظْهَارُهَا "أ"جْرى "دَ"وَامَ "ذَ"سيمِهَا ... وَأَظْهَرَ "رَ"يا "قَـ"وْلِهِ وَاصِفٌ جَلاَ

وَأَدْغَمَ "ضَـ"نْكاً وَاصِلٌ تُومَ "دُ"رّه ... وَأَدْغَمَ "مُـ"وْلَى وُجْدُهُ "دَ"ائمٌ وَلا

قال الإمام : " ولو قال المصنف بدل الأبيات:

وأحرفُ "إذ" مجموعُ: صَدٌّ تَجُزْ ستَّةْ ... فأدغمها فيها هشامٌ وذو العلا

وفي الدال مزْ والدال والتاء ضف، وفي ... سوى الجيم خلادُ الكسائيُ أدخلا

لكان أبْيَنَ وأخْصرَ "[31].

• **الاستدراك لزيادة الفائدة** : قد يكون الاستدراك من الإمام لزيادة فائدة نحو استدراكه على قول الناظم :

وَلاَ نَصَّ كَلاَّ حُبَّ وجْهٍ ذَكَرْتُهُ ... وَفِيهاَ خِلاَفٌ جِيدُهُ وَاضِحُ الطُّلا

قال السيوطي : " ولو قال بدل البيت:

ولا نصَّ عن بصريّهم وابن عامرٍ ... وعن ورشٍ فيها الخُلْف فادرِ و اقبلا

لوفى بالتسمية مع زيادة فائدة"[32].

11.3 **التنبيه على احتجاج بعض المذاهب العقدية بالقراءة** : نحو شرحه لقول الناظم :

يُضَلُّ بِضَمِّ اليَاءِ مَعْ فَتْحِ ضَادِهِ ... "صِحَابٌ" وَلَمْ يَخْشَوْا هُنَاكَ مُضَلِّلا

قال الإمام السيوطي :" ﴿(**يُضَلُّ**) بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [**التوبة** : 37]؛ (**بِضَمِّ اليَاءِ مَعْ فَتْحِ ضَادِه**) بناءً للمفعول، فرأ به (**صِحَابٌ**) أي حفص وحمزة والكسائي ، (**وَلَمْ يَخْشَوْا هُنَاكَ مُضَلِّلا**) ، والباقون قرءوا بفتح الياء وكسر الضاد بناء للفاعل ؛ **وهذا تعلّق بها المعتزلة القائلون بأنّ العبد يضلّ نفسه** "[33].

12.3 **الاستشهاد بالأمثال** : إذا نصص الناظم مثلا من أمثال العرب نبه الإمام على ذلك نحو قول الناظم:

وَقُلْ صَادِقًا لَوْلاَ الوِئَامُ وَرُوحُهُ ... لَطَاحَ الأَنَامُ الكُلُّ فِي الخُلْفِ وَالقِلا

قال السيوطي : " ... ومن أمثال العرب المشهورة : **لولا الوئام لهلك الأنام** " [34]

13.3 **الاستشهاد بالأحاديث النبوية** : إذا كان المعنى مأخوذا من حديث نبويّ ذكره الإمام السيوطي مع تخريجه نحو قول الناظم :

هُوَ المجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ ... قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَالاً مُؤَمَّلاَ

قال جلال الدين : " ... وفي الحديث : (**بدأ الإسلام غريبا ثم يعود كما بدأ، فطوبى للغرباء**) ، قيل يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال (**الذين يصلحون إذا فسد الناس**)، وفي لفظ آخر قال : (**أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**)، رواهما أحمد وغيره" .

14.3 **التنبيه على الضرورة الشعرية في النظم** : نحو ما جاء في قول الناظم :

صِحَابٌ وَغَيْرُ الْحَفْصِ خَامِسَةُ الأَخِيـ ... ـرُ أَنْ غَضِبَ التَّخْفِيفُ وَالكَسْرُ أُدْخِلا

قال السيوطي : " **وإدخال المصنّف (أل) على حفص العَلَم ضرورة** " [36].

4. توجيه القراءات في شرح حرز الأماني

إنّ الإمام السيوطي يعتبر تعدّد القراءات بمثابة تعدّد الآيات ، بل يعدّه من أنواع الإعجاز ؛ قال عن منهجه في تفسيره أسرار التنزيل : " ... وأنبّه على القراءات المختلفة المشهورة والشاذة، إذا كان لكل قراءة معنى ، فإنّ من وجوه إعجاز القرآن وإيجازه تنوّع قراءاته ودلالة كل قراءة على معنى ، فإن ذلك بمنزلة تعدّد الآيات ، وهذا نوع عظيم من البلاغة أن يكون اللفظ الواحد بجوهره يقرأ على وجهين ، فيفيد بهذا الاعتبار معنيين " [37].

وإمامنا في شرحه للشاطبية يعتني بإيراد وجوه القراءات المختلفة متابعا في ذلك الناظم، إلا أنّه يضيف حجة كلّ قراءة لاسيما المشكلة منها، ولا يطيل في الاحتجاج للقراءات عادّا إياه خارجا عن فنّ القراءات ؛ قال بعد توجيهه لقراءتين : " ... ولقد بسطت الكلام على ذلك في أسرار التنزيل ، وكذا توجيه القراءات بأسرها إنّما محلّه ذلك ، وما يذكر منه هنا للفائدة فليس من موضوع الفنّ "[38]، ويمكن تحديد منهجه في التوجيه في النقاط الآتية :

1.4 **التوجيه بتعدد اللغات** : أكثر ما يوجه به الإمام اختلاف وجوه القراءات هو تعدد اللغات من ذلك شرحه لقول الناظم :

وَجَمْعُ رِسَالاتِي "حَـ"مَتْهُ "ذُ"كُورُهُ ... وَفِي الرُّشْدِ حَرِّكْ وَافْتَحِ الضَّمَّ "شُـ"لْشُلا

قال الإمام : " (**وفي الرُّشْد**) من قوله ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ [الأعراف : 146] ، الذي قرأ به الأكثر بضم الراء وسكون الشين (**حَرِّكْ**) شينَه بالفتح (**وَافْتَحِ الضَّمَّ**) في رائه لحمزة والكسائي .. **وهما لغتان** "[39].

2.4 **التوجيه النحوي للقراءة**

يبرز الإمام الأوجه النحوية للقراءات المختلفة نحو توجيهه لظ (ربّنا) من قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) ﴾ [الأنعام]، عند قول الناظم :

وَفِتْنَتُهُمْ بالرَّفْعِ "عَـ"نْ "دِ"ين "كَـ"امِلٍ ... وَبَا رَبِّنا بِالنَّصْبِ "شَـ"رَّفَ وُصِّلا

قال الإمام : " (**بالنَّصْبِ**) **على النداء لحمزة والكسائي ... ومن الجرّ للباقين صفة للجلالة أو بيان أو بدل** "[40] .

3.4 **الاستشهاد بالشعر للوجهين**

قد يستشهد الإمام السيوطي بالشعر لتأييد وجهي القراءة ، فعند شرحه لقول الناظم :

وَفِي أَمْ يَقُولُونَ الخِطَابُ "كَـ"مَا "عَـ"لا ... "شَـ"فَا وَرَءُوفٌ قَصْرُ "صُحْبَتِهِ حَـ"لا

قال الإمام : " (**وَرَءُوفٌ**) حيث وقع (**قَصْرُ "صُحْبَتِهِ**) أي : أبي بكر وحمزة والكسائي وأبي عمرو (**حَـلا**) ، ومدّه لغيرهم وهما لغتان ، والمدّ أكثر استعمالا، والقصر أخفّ، ومن شواهد القصر قوله:

ترى للمسلمين عليك حقّا ...كفعل الوالد الرؤُفِ الرحيم ...

ومن شواهد المدّ :

هو الرحمن كان بنا رؤوفا ... "[41].

4.4 الاستشهاد بعمل أهل مصر

استشهد الشارح في موضع من كتابه بموقف المحققين من أهل مصر، وهو عند شرحه لقول الناظم:

وَلاَ نَصَّ كَلاَّ حُبَّ وجْهٍ ذَكَرْتُهُ ... وَفِيهاَ خِلاَفٌ (جِـ)يدُهُ وَاضِحُ الطُّلا

وفي قول الناظم : (**وَفِيهاَ خِلاَفٌ (جِـ)يدُهُ**) أي ورد خلاف عن ورش في الفصل بين السورتين بالبسملة ، قال الشارح : " حكى الداني أنّ أبا غانم بن حمدان كان يأخذ لورش بالفصل بالبسملة بين السورتين في جميع القرآن ، وتابعه عن ذلك الآخذون عنه ، وإنّ سائر المصريين المحققين على ذلك "[42].

5.4 التوجيه بموافقة الرسم

عند اختلاف القراءتين بالزيادة والنقصان يعلل الإمام ذلك باختلاف المصاحف ، ففي شرحه لقول الناظم :

وَقَبْلَ يَقُولُ الْوَاوُ "غـ"صْنٌ وَرَافِعٌ ... سِوَى ابْنِ العَلا مَنْ يَرْتَدِدْ "عَمَّ" مُرْسَلا

قال الإمام " (**وقبل**) ﴿ (**يَقُولُ**) الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة : 53] ، (**الْوَاوُ**) العاطفة للكوفيين وأبي عمرو ("غـ"صْنٌ) بوصله ما بعده بما قبله ، والباقون قرءوا بلا واو ؛ **لأنه رُسم في مصاحف الكوفة والبصرة بالواو** "[43] .

6.4 الاقتصار على الأرجح

عند إيراد السيوطي لقراءة استدل لها العلماء السابقون بعدّة أدلة أو خرّجوها بعدة تخريجات يقتصر على ما ترجّح عنده منها ؛ من ذلك شرحه لقول الناظم :

مَعَ القَصْرِ شَدِّدْ يَاءَ قَاسِيَةً "شَـ"قَا ... وَأَرْجُلِكُمْ بِالنَّصْبِ "عَمَّ رِ"ضًا "عَـ"لا

يريد الناظم تقرير الاختلاف في قراءة لفظ : (وَأَرْجُلِكُمْ) من قوله تعالى : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة : 06] ، فقرأ بالنصب نَافِع ، وَابْن عَامِر، وَالْكِسَائِيّ، وحفص عن عاصم ، وقرأ الباقون بالجرّ وهم : ابْنُ كَثِير، وَحَمْزَة ، وَأَبو عَمْرو، وَعَاصِم في رِوَايَة أَبي بَكْر.

وفي قراءة النصب تكون الأرجل معطوفة على الوجوه والأيدي فتغسل ، أي عطف المغسولات على بعضها ، وتخللها الرأس وهو ليس من المغسولات مراعاة للترتيب .

أما قراءة الجرّ ففيها مخالفة لصحيح السنة وصريحها، فاحتاجت القراءة للتأويل ، وقيل في تأويلها ما يلي[44]:

• **الخفض للمجاورة** : أي أنّ المحل هو محلّ نصب ، وجاء الخفض طارئا لمجاورة لفظ (بِرُءُوسِكُمْ) واستشهدوا لذلك بقول امرئ القيس :

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانِينِ وَدْقِهِ ... كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

والأصل : مزمّلُ لأنّه صفة لكبير .

• **المُرَادُ بالمسح هو الغسل** : والعرب تطلق المسح وتريد الغسل ، كقولهم مسح المطرُ الأرض ،

• **المُرَادُ هو المسح على الخفين** : قال محمد الأمين الشنقيطي : " وَعَلَيْهِ فَالْآيَةُ تُشِيرُ إِلَى الْمَسْحِ عَلَى الْخُفِّ فِي قِرَاءَةِ الْخَفْضِ، وَالْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ، إِذَا لَبِسَهُمَا طَاهِرًا، مُتَوَاتِرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لَمْ يُخَالِفْ فِيهِ إِلَّا مَنْ لَا عِبْرَةَ بِهِ، وَالْقَوْلُ بِنَسْخِهِ بِآيَةِ الْمَائِدَةِ يَبْطُلُ بِحَدِيثِ جَرِيرٍ أَنَّهُ بَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: تَفْعَلُ هَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَكَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ، لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ "[45] .

واقتصر الإمام السيوطي على ما رجح عنده فقال : " ... والباقون على الجرّ عطفا على الممسوح **لإفادة مسح الخفّ كما هو التحقيق** " [46]. مرجحا هذا التخريج .

7.4 التوجيه باتباع الأثر

يعتبر السيوطي أنّ عمدة الاحتجاج للقراءات هو اتّباع الأثر ، وما يحتج به دونه فهو زيادة يستأنس بها ، قال الناظم عند كلامه عن شروط تأثير الصاد والطاء والظاء في تغليظ اللام :

إِذَا فُتِحَتْ أَوْ سُكِّنَتْ كَصَلاتِهِمْ ... وَمَطْلِعِ أَيْضًا ثُمَّ ظَـلَّ وَيُوصَلا

قال الإمام السيوطي ذاكرا حجج تخصيص تلك الحروف مع اشتراط الفتح والسكون : " ووجه ذلك طلب المناسبة بالحروف المذكورة ؛ لكونها مفخمة مطبقة مستعلية ، ولم يفعل ذلك مع الضاد لبعض مخرجها من اللام ، ولا مع بقية حروف الاستعلاء ؛ لعدم الإطباق مع بُعْدِ المخرج ، ولا مع ضم اللام وكسرها أو سكونها ك(ظلوا) و ﴿ فَظَلُّوا ﴾ [الحجر : 14] ﴿فَظَلْتُمْ ﴾ [الواقعة: 65] ، لأنّ التفخيم عبارة عن إشباع الفتحة فاختصّ به ، ولا مع كسر الأحرف المذكورة كـ ﴿ ظِلَالٍ ﴾ [يس : 56] و ﴿ ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : 210] ؛ لكلفة التصعّد بعد التسفّل ولا مع تأخر الأحرف المذكورة كـ ﴿ لَظَى (15)﴾ [المعارج] ، و ﴿ لَصَالُوا ﴾ [المطففين : 16] ، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [الكهف : 19] ؛ **وعمدة الاحتجاج اتّباع الأثر** " [47].

8.4 التوجيه بالتخفيف

من حجج الإمام في توجيه القراءات طلبُ الخفّة كشرحه لقول الناظم :

وَيَنْصُرُكُمْ أَيْضًا وَيُشْعِرُكُمْ وَكَمْ ... جَلِيلٍ عَنِ الدُّورِيِّ مُخْتَلِسًا جَلا

قال الإمام : " (**وَيَنْصُرُكُمْ أَيْضًا وَيُشْعِرُكُمْ**) تلا فيهما بالإسكان؛

ووجهه في الإسكان طلب الخفّة لما في توالي الحركات من الاستثقال ... " [48]

9.4 التنبيه على المقيس وغير المقيس

ينبه الإمام على القراءة الموافقة للقياس وغير الموافقة له فمن الأول قول الناظم :

وفيمَهْ وَمِـمَّهْ قِفْ وَعَمَّهْ لِمَهْ بِمَهْ ... بِخُـلْفٍ عن البزّيّ وادفَعْ مُجَهِّلا

أي : قف على ما الاستفهامية التي حذفت ألفها بعد دخول الجارّ عليها بهاء السكت عند البزّي راية ابن كثير [49]. قال الإمام السيوطي عن هذه الرواية : " ... **كما هو قياس العربية في** ذلك عوضا من الألف المحذوفة .. " [50] ، إلا أنّه نقل عن البزّي الخلاف أي قراءته لها دون هاء السكت .

ومن الثاني شرحه لقول الناظم :

وَبِالْهَمْزِ كُلُّ اللَّاءِ وَالياءِ بَعْدَهُ ... "دَ"كَا وَبِياءٍ سَاكِنٍ "حَـ"جَّ "هُـ"مَّلا

يريد الناظم توجيه قراءة لفظ اللائي من قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي ﴾ [الأحزاب : 4] حيث قرأ الجميع الكوفيون وابن عامر بهمزة بعدها ياء ساكنة (اللائي) على وزن القاضي والداعي فهذا هو أصل الكلمة؛ أي: كل اللاء بالهمز والياء بعده، ثم ذكر أن أبا عمرو والبزي قرأ بياء ساكنة من غير همز فكأنهما حذفا الهمز، وبقيت الياء الساكنة[51]، فقرر السيوطي أنّ هذه القراءة على إبدال الهمزة بياء وهي على غير قياس فقال: " ... إبدالا لها من الهمز بعد حذف يائه **على غير قياس** " [52] .

10.4 التنبيه على الأصل

ينبه السيوطي على القراءة الواردة على الأصل والقراءة المحولة عنه لمناسبة ما ففي قول الناظم :

عَلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ حَمْزَةٌ وَلَدَيْهِمُو ... جَمِيعاً بِضَمِّ الْهاءِ وَقْفاً وَمَوْصِلا

قال الإمام : " (عَلَيْهِمْ) و(إِلَيْهِمْ) قرأهما (حَمْزَةٌ) (وَلَدَيْهِم) أيضا حيث وقع في القرآن (بِضَمِّ الْهاءِ) على الأصل ، (وَقْفاً وَمَوْصِلا) حالان ، والباقون قرءوا بالكسر لمناسبة الياء "[53].

11.4 التصريح بالأفصح

يصرح الإمام السيوطي بورود قراءة على الوجه الأفصح في اللغة ، ويتأول الثانية ، من ذلك شرحه لقول الناظم :

وَلامَسْتُمُ اقْصُرْ تَحْتَها وَبِها "شَـ"فا ... وَرَفْعُ قَلِيلٌ مِنْهُمُ النَّصْبَ "كُـ"لِّلا

قال الإمام :"(**وَرَفْعُ**) ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : 66]، الذي قرأ به الأكثر **على الأفصح لغة** من اتباع المستثنى في النفي بدلا "[54]، أما قراءة النصب التي قرأ بها ابن عامر فأولها السيوطي على أنها منصوبة على نزع الخافض .

12.4 الرد على الناظم

يخالف الإمام السيوطي الناظم في مسائل منها توجيه الناظم لقراءة ابن كثير للفظ القرآن بحذف الهمزة ومد بعد الراء بأنّه من باب نقل الهمز . قال الناظم :

وَنَقْلُ قُرَانٍ وَالقُرَانِ "دَ"وَاؤُنَا ... وَفِي تُكْمِلُوا قُلْ شُعْبَةُ المِيمَ ثَقَّلا

واختياره لهذا التوجيه هو الأشهر عند أصحاب هذا الفنّ قال أبو حيان : " وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ الْقُرَانُ بِنَقْلِ حَرَكَةِ الْهَمْزَةِ إِلَى الرَّاءِ، وَحَذْفِ الْهَمْزَةِ، وَذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ سَوَاءٌ ذُكِّرَ أَمْ عُرِّفَ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، أَوْ بِالْإِضَافَةِ، **وَهَذَا الْمُخْتَارُ مِنْ تَوْجِيهِ قِرَاءَتِهِ** " [55] .

إلا أنّ الإمام السيوطي يرجح عدم النقل ، ويعد لفظ القران اسما غير مشتق هو اسم للقرآن ، فقال : " ... والتحقيق في قراءة ابن كثير أنّها ليست من النقل ، بل هو اسم بهذه الصيغة غير مشتقّ ، جُعِلَ علما على الكتاب العزيز ، كالتوراة والإنجيل ، نصّ على ذلك الشافعيّ رضي الله عنه " [56].

13.4 التنبيه على الروايات الشاذة

أحيانا ينبه السيوطي على القراءات الشاذة في الموضع المشروح من قول الناظم تنبيها على عدم الاعتداد بالقراءة ففي شرح قول الناظم :

وَثُمَّ هُوَ "رِ"فْقًا "بَـ"انَ وَالضَّمُّ غَيْرُهُمُ ... وَكَسْرٌ وَعَنْ كُلٍّ يُمِلُّ هُوَ انْجَلا

حيث أثبت الناظم أنّ كل القراء قرءوا بضم هاء هو في قوله تعالى :﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ [البقرة : 282] . قال السمين الحلبي : " وقرئ بإسكان هاء «هو» **وهي قراءةٌ ضعيفة** لأنَّ هذا الضميرَ كلمةٌ مستقلةٌ منفصلة عما قبلَها "[57] .

وقال السيوطي : " ... ولم يقرأ بالسكون إلاّ في رواية شاذة عن قالون لا معوّل عليها "[58] . ولعل الإمام أخذ لفظ الشذوذ من أبي حيان الذي قال : " وقرئ شَاذًّا بِإِسْكَانِ هَاءِ هو "[59] .

وعند النظر في كتب المحققين من علماء القراءات نجد أنّ الرواية عن قالون وإن كانت غير مشهورة فإنهم لم يصرّحوا بشذوذها ، واختصارا أكتفي بنقل عن ابن الجزري وأحيل على مواضع الكتب الأخرى في الهامش ، قال ابن الجزري : " وَاخْتُلِفَ أَيْضًا عَنْ قَالُونَ فِيهِمَا، فَرَوَى الْفَرَضِيُّ عَنِ ابْنِ بُوَيَانَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَشِيطٍ عَنْهُ إِسْكَانَ يُمِلَّ هُوَ، وَكَذَلِكَ رَوَى الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الطَّبَرِيُّ عَنِ ابْنِ مِهْرَانَ مِنْ طَرِيقِ الْحُلْوَانِيِّ، وَنَصَّ عَلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنِ ابْنِ مَرْوَانَ عَنْ قَالُونَ، وَعَنْ أَبِي عَوْنٍ عَنِ الْحُلْوَانِيِّ عَنْهُ. وَرَوَى سَائِرُ الرُّوَاةِ عَنْ قَالُونَ الضَّمَّ كَالْجَمَاعَةِ" [60] .

14.4 بيان الحكمة من الوجه القرائي

يبرز الإمام الحكمة من بعض الوجوه القرائية ليدلل على أنّه كقوله عن المدّ : " ... وحكمة المدّ حينئذ أنّ حروفه خفيفة ، والهمز جلد بعيد المخرج صعب اللفظ مهم به في النطق ، فإذا

لاصق حرفا قويّا خفيّا أن يزاد خفاء ، فقُوِيَ بالمدّ احتياطا لإبانته وظهوره ، وشرط في الياء والواو وقوعهما بعد حركة تجانسهما لأنّ مشابهتهما للألف التي هي الأصل في المدّ إنّما تكون بذلك فإن فقد كانا حرفي لين فقط "[61].

15.4 الرد على الطاعنين في القراءة الصحيحة

وسمّى الإمام السيوطي من طعن في قراءة صحيحة بالقاصر، لأنّ القراءة ليست اختيارا من القارئ على قياس نحوي ؛ قال ابن عاشور في ردّه على الزمخشري : " ... **لتوهّمه أنّ القراءات اختيارات وأقيسة من القرّاء** ، وإنّما هي روايات صحيحة متواترة وفي الإعراب دلالة على المقصود لا تناكد الفصاحة . ومُدوّناتُ النّحو ما قصد بها إلاّ ضبط قواعد العربيّة الغالبة ليجري عليها النّاشئون في اللّغة العربيّة ، وليست حاصرة لاستعمال فصحاء العرب، **والقرّاء حجّة على النّحاة دون العكس** ، وقواعد النّحو لا تمنع إلاّ قياس المولّدين على ما ورد نادراً في الكلام الفصيح ، والنّدرة لا تنافي الفصاحة ، وهل يظنّ بمثل ابن عامر أنّه يَقرأ القرآن متابعة لصورة حروف التهجّي في الكتابة . ومثل هذا لا يروج على المبتدئين في علم العربيّة "[62] .

وقال السيوطي عند شرحه لقول الناظم عن قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام : 137]

وَمَفْعُولُهُ بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ فَاصِل ... وَلَمْ يُلْفَ غَيْرُ الظَّرْفِ فِي الشِّعْرِ فَيْصَلا

" (وَمَفْعُولُهُ) وهو ﴿ أَوْلَادِهِمْ ﴾ (بَيْنَ الْمُضَافَيْنِ) وهو﴿ قَتْلَ﴾ و ﴿شُرَكَائُهُمْ ﴾ (فَاصِل) ، **وقد قدح بعض قاصري النحاة في هذه القراءة لما فيها من الفصل بين المذكور** ... وهذا القدح مردود ؛ أما أولا : فلأنّ ابن عامر لم يقرأ من تلقاء نفسه ولا اعتمادا على الرسم فقط بل بما تواتر عنده ، وصحّ نقله لديه ، مع أنّه قد سبق اللحن ... وأما ثانيا : فلأنّه مع رسمه الذي هو من مقويات القراءة كما تقدّم قد ورد من كلام العرب الفصل بغير الظرف، وهو المفعول خلاف دعوى المعترض السابقة قال :

فزججتها بمزجّة ... زجّ القلوصَ أبي مزادة "[63].

ثمّ قرّر قاعدة عامة : " واعلم أنّه غالب ما يقدح به قادحون به في قراءات ثابتة ، وأحاديث صحيحة ، وأحكام مقررة في سائر الفنون ؛ إنّما سببه قصورهم في ذلك ، وعدم الاطلاع على دقائقه وأسراره كما قال الغزالي رحمه الله في كتابه التفرقة في مثل ذلك (لو سكت من لا يعلم قلّ الخلاف) "[64].

ثم يعطف على كل ذلك ببيان أسرار اختلاف القراءات بقوله : " ولو عرف القادح في هذه القراءة الثابتة ، المجمع على نزولها من عند الله أنّ **من أسرار التنزيل الاحتواء على جميع لغات العرب كثيرها وقليلها ، غالبها ونادرها ، والانطواء على جميع ما استعملته كثيرا فيما أكثرت ، وقليلا فيما أقلّت ، تارة باللفظ وتارة بقراءة فيه حتى لا يفوته شيء من لغاتها**، لاهتدى إلى وجه الصواب ، ولأدرك من بدائعه العجب العجاب، وقد أوردت في أسرار التنزيل شواهد أخر غير هذا البيت "[65].

الخاتمة

إن شرح السيوطي وإن جاء مختصرا فهو مستوعب للمعاني مستوف بغرض الناظم ، كافٍ للمقتصِد من معاني الحرز شافٍ للمبتدئ في هذا الفن .

كما أنه لا يرضى بالشرح فحسب بل يعقّب على بعض الألفاظ ويصوب المعاني ، ويقترح تعديل أبيات ، ويرد على الطاعنين في القراءات ويوجه المشكلات منها . فكان شرحه جامعا مانعا في أخصر لفظ وأوجز معنى . ويمكن إيجاز النتائج المتوصل إليها في النقاط الآتية :

- وظّف السيوطي منهجا علميا منضبطا في شرحه لأبيات الناظم حيث انتقل من شرح المفردات والمصطلحات الشرعية إلى شرح التراكيب وإعراب الجمل وبيان النكت البلاغية ليصل بكل ذلك إلى فك رموز النظم وإجلاء مقاصد الناظم .

- شرح الإمام السيوطي على صغره استوعب النظم بالشرح والتعقيب والاستدراك .

- استدرك السيوطي على الناظم أبياتا كثيرة واقترح بدائل لها، كما نبّه على مواطن مخالفة الناظم لمصطلحه الذي قررهفي أول النظم .

- قرر الإمام السيوطي قواعد جليلة عند توجيهه للقراءات القرآنية كقاعدة اتباع الأثر وترجيح القراءة المتواترة على القياس النحوي ، وزمن القراءة سابق للحن . وتردد القراءات بين الفصيح والأفصح ، ونزول القرآن موافقا للغة العرب كثيرا فيما أكثرت وقليلا فيما أقلت ...

- وجه الإمام القراءات القرآنية باختلاف اللغات واتباع الأثر واختلاف الأوجه النحوية والتخفيف وموافقة الرسم ...

- لا يغفل السيوطي بيان الحكمة من الأوجه القرائية .

وختاما نقول : إنّ الإمام السيوطي الذي أرسى دعائم علم أصول النحو يدعو ضمنا من خلال شرحه للشاطبية إلى اعتماد اختلاف القراءات القرآنية مصدرا ثريا للغة العرب مشهورها ونادرها ، المقيس منها وغير المقيس ، عادّا إيّاها صورة مصغرة لاختلاف لغات العرب .

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا

الهوامش

1- السيوطي جلال الدين ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر ، ط 2 ، 1387 هـ - 1967 م ، ج 1 ص 388.389

2- نفسه .

3- السيوطي جلال الدين ، شرح مقامات جلال الدين السيوطي ، تحقيق سمير محمود الدروبي ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 1409 هـ 1989م ، ج 2 ص 949 ، 950 .

4- السيوطي ، شرح الشاطبية ، تحقيق مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث ،

مؤسسة قرطبة للطبع والنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 2004م ، ص 67.

5- نفسه ، ص 68.

6- نفسه ، ص 146.

7- نفسه ، ص 39.

8- نفسه ص 129.

9- نفسه ص 137. ينظر : سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط 3، 1408 هـ - 1988 م ، ج 4 ص 123 وما بعدها .

10- نفسه ، ص 349. ينظر : ابن منظور لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 3 ، 1414 هـ ، ج 10 ص 395.

11- نفسه ، ص 373. ينظر : فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1420 هـ ، ج 31 ص 17.

12- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص11 .

13- السيوطي ، البهجة المرضية في شرح الألفية ، تعليق السيد صادق الشيرازي ، دار العلوم ، بيروت ، لبينان ، ط 1 ، 1433هـ2012م ، ص 6.

14- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص67.

15- نفسه ، ص 48.

16- نفسه ، ص 32.

17- نفسه ، ص 349.

18- نفسه ، ص 201.

19- نفسه ، ص 146.

20- نفسه ، ص 30.

21- نفسه ، ص 33.

22- نفسه ، ص 35.

23- نفسه ، ص 32.

24- نفسه ، ص 14.

25- نفسه ، ص 31. وينظر شواهد أخرى للجناس التام والجناس المحرف ص 32.

26- نفسه ، ص 64.

27- نفسه ، ص 104.

28- نفسه ، ص 379.

29- نفسه ، ص 65.

30- نفسه ، ص 65 ، 66.

31- نفسه ، ص 106 ، 107.

32- نفسه ، ص 42.

33- نفسه ، ص 274.

34- نفسه ، ص 34.

35- نفسه ، ص 36.

36- نفسه ، ص 343.

37- السيوطي جلال الدين ، أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق أحمد بن محمد الحمادي ، ط وزارة الأوقاف لدولة قطر ، ط 1 ، 1414هـ 1994م، ص 97.

38- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 191.

39- نفسه ، ص 264. وينظر أيضا : ص 203 ، 213 ، 220 ، 222 .

40- نفسه ، ص 242.

41- نفسه ، ص 194.

42- نفسه ، ص 42.

43- نفسه ، ص 238. وينظر : ص 317. و ص 356. وص 400 ،

44- تنظر هذه التخريجات في : السمين الحلبي ، الدر المصون ، تحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق ، (د ت ط) ، ج 4 ص 210 وما بعدها . وابن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 هـ ، ج 6 ص 130. وابن عادل الحنبلي ، اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1419 هـ 1998-م ، ج 7 ص 223 وما بعدها . ومحمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، 1415 هـ - 1995 مـ ، ج 1 ص 335 وما بعدها .

45- الشنقيطي محمد الأمين ، أضواء البيان ، ج 1 ص 335 ، 336.

46- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 236.

47- نفسه، ص 150. وينظر ص 183.

48- نفسه ، ص 174. وينظر ص 183.

49-ينظر : شعلة أبو عبد الله أحمد بن محمد الحنبلي ، كنز المعاني شرح حرز الأماني ، تحقيق محمد إبراهيم المشهداني ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية مع دار البركة ، دمشق، سورية ، ط 1 ، 1433 هـ 2012م ، ج 1 ص 654.

50- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 159.

51- ينظر : أبو شامة المقدسي ، إبراز المعاني من حرز الأماني ، دار الكتب العلمية ، (د ت ط) ، ص 643.

52- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 368.

53- نفسه ، ص 45.

54- نفسه ، ص 231.

55- أبو حيان ، البحر المحيط ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1420 هـ ، ج 2 ص 192.

56- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 199.

57- السمين الحلبي ، الدرّ المصون ، ج 2 ص 654.

58- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 183.

59- أبو حيان ، البحر المحيط ، ج 2 ص 726.

60- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، تحقيق علي محمد الضباع ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، طبعة مصورة على المطبعة التجارية الكبرى ، ج 2 ص 209. وينظر : ابن مهران الأصبهاني ، المبسوط في القراءات العشر ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن بيروت ، ط 2 ، 1408هـ 1988م ص 116. وابن غلبون ، التذكرة في القراءات ، تحقيق عبد الفتاح بحيرى إبراهيم ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط 2 ، 1411هـ1991م ، ج 2 ص 344. وابن شريح ، الكافي في القراءات السبع ، وهو مطبوع بهامش كتاب المكرر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، 1354هـ 1935م ، ص 60.

61- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 67.

62- ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 8 ص 103 .

63- السيوطي ، شرح الشاطبية ، ص 254.

64- نفسه ، ص 255.

65- نفسه ، ص 255.